(إحْفَظْ اللهَّ يَحْفَظْكَ) 1

الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بربِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه نحمده سبحانه وتعالى ونشكره.....ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِّ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسوله القائل : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟) قلت : بلى فقال : (يَاغُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِحْفَظْ اللهَّ يَحْفَظْكَ إِحْفَظْ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِّ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّبِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) وفي رواية : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم بأنَّ النَّصْرَمَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) هذا حديث عظيم يعلمك كيف تتعامل مع ربك وكيف تتعلق بربك ؟ جميع الناس تقول يارب ويسمعهم فمن يستجيب له ومن لايستجيب له ؟ يستجيب لمن حفظ الله ، فقوله صلى الله عليه وسلم : (إِحْفَظْ اللهَّ يَحْفَظْكَ) أي احفظ حدود الله وحقوقه وماهي حقوق الله ؟ أوامره ونواهيه ، فلا يفتقدك ربك حيث أمرك ولايراك حيث نهاك ، وقد جاء في الأثر : إن الله فرض فرائض فلاتضيعوها ، وحرم حُرُمات فلاتنتهكوها ، وحد حدودا فلاتعتدوها ، وقد أثنى الله على من حفظ حدود الله فقال تعالى (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِّ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) وقال تعالى : (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) ومن أعظم ما يجب حفظه من المأمورات : الصلوات الخمس قال تعالى يصف عباده المؤمنين : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ...) وذكر منهم (...وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ لَمْ يَكُنَّ لَهُ نُورًا وَلا بُرْهَانًا وَلا نَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ) وكذلك حفظ الأيمان قال تعالى : (...وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ...) وذلك بعدم الحلف...وإذا حلف على يمين منعقدة كفر عن يمينه...ومما أمر الله بحفظه الرأس وما وعى من سمع وبصر وغيره قال تعالى : (وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) وقال صلى الله عليه وسلم : (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ) وكذلك حفظ البطن وما حوى من قلب وذلك بسلامته من الحقد...وحفظ المعدة من تناول الحرام ، وحفظ الله تعالى لعبده نوعان الأول : حفظه له في مصالح دنياه والثاني وهو الأشرف : حفظه له في دينه...فمن حفظ الله حفظه فى نفسه وولده وأهله وماله...ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح يقول : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ ، وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْعَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ مِنْ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي) فحفظ الله لعبده وجده إبراهيم عليه السلام في النار ، ووجده يوسف عليه السلام في الجب ، ووجده يونس عليه السلام في بطن الحوت ، كما وجده موسى عليه السلام في اليَم وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة ، كما وجده أيضا في قصر فرعون أمام عدوه المتربص به ، فإذا حافظ

العبد على أوامر ربه ونواهيه حفظه الله في بدنه وقوته وعقله وماله فكان أبو الطيب الطبري قد جاوز المائة وهو متمتع بعقله وقوته فوثب يوما من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة فلما عوتب على ذلك قال : هذه جوارح حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، وعكس هذا : رأى بعض السلف من كان ذا مال يسأل الناس فقال : إن هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره...نعم من ضيع حقوق الله ضيعه الله حتى يدخل عليه الضرر ممن كان يرجو منه أن ينفعه كما قال بعضهم : إذا عصيت الله وجدت ذلك في خلق خادمي وحماري ، وفى هذا العصر ينطبق على السيارة وغيرها ، فمفتاح حفظ الله لك بيدك أنت أيها المسلم فإن الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) وقال : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) وقال : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) فمن أنواع حفظ الله لعبده في مصالح دنياه أن يحفظه من كل شر كما قال تعالى :(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَايَحْتَسِبُ) أي يجعل له مخرجا من كل شدة ويرزقه من حيث لايدرى ، وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده كما قال تعالى فى قصة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر عليه السلام : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ...) فالغلامان حفظا بصلاح أبيهما ، وقال سعيد ابن المسيب لابنه : إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك...وتصديق ذلك من كتاب الله قوله تعالى :

(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ...)

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظ أوامرالله ونواهيه أن يجعل الحيوانات المؤذية بفطرتها حافظة له من الأذى ساعية في مصالحه كما جرى لسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حيث كسر به المركب وخرج إلى جزيرة فرأى فيها سبعا فقال له يا أبا الحارث ، أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم...فجعل يمشي حوله ويدله على الطريق حتى أوقفه عليه ثم حرك رأسه كأنه يودعه وانصرف عنه ، فمتى كان العبد مشتغلاً بطاعة الله عز وجل فإن الله تعالى يحفظه في تلك الحال ، كان شيبان الراعي يرعى غنمًا في البرية ، فإذا جاءت الجمعة خطَّ عليها خطًا وذهب إلى صلاة الجمعة ثم يرجع فيراها كما تركها ، فبسبب نية الإنسان يحفظ الله للإنسان ماله كما ذكرنا فى الرسالة السادسة ص : 9 هذه القصة المشهورة التى رواها أكثرمن واحد من الصحابة منهم : أبوهريرة وأبوسعيد الخدري رضي الله عنهما قالوا بينما رَاعٍ يَرْعَى غنمَه إذ هجم ذِئبٌ على شاة فأخذها الرَّاعِي منه ، فقال الذئب : ألا تتقى الله لقد منعتنى رزقى ؟ فقال الراعى : العجب مِنْ ذِئب يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب : أنت أعجب وقفتَ على غنمك وتركتَ نبيًا لمْ يَبْعَث اللهُ قط نبيًا أعظمَ قدرًا منه... قد فُتِحَتْ له أبوابُ الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينتظرون إقبالهم ، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعْبُ ، فقال الراعى : لو كان لِيَ مَنْ يَرْعَى الغنمَ لمَشِيتُ إليه فقال الذئبُ : أنا أرْعَاهَا حتى ترجعَ ، فمَضَى الراعى وذكر قِصَّته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له : (عُدْ إلى غنمك تجدُهَا بوَفرهَا) فعَادَ إليْها فوَجَدَهَا فذبح للذئب منها شاة... نعم "احفظ الله يحفظك" نعم احفظ سمعك عن الحرام..بصرك عن الحرام..لسانك عن الحرام..جوارحك عن الحرام..تجد الله معك دائما... لن يفارقك الرب أبدا جل في علاه...اجتمع القراء عند قصر الحجاج يطلبون أرزاقاً فلبس الحسن البصري ثيابه وأتى على القراء ، وقال : بئس أنتم قبحتم ، تطلبون الدنيا بعلمكم ممن ؟ من هذا الغشوم الظلوم الذى يبطش بطش الجبارين ، ويلبس لباس الفسقة فوصل الكلام إلى الحجاج فغضب كثيرا فقال : علي به ، والله لأقتلنه هذا اليوم...وقتل الناس عند الحجاج كذبح الدجاج فأرسل إلى الحسن فلما سمع الحسن الجنود قال : أنظروني قليلاً...فدخل في غرفة مع الواحد الأحد...فاختلى بالله وبكى وأثنى على الله بما هو أهله وقال : يا رب...أسألك أن تسخره لي وأن تنصرني عليه ثم خرج...وفي الطريق قلب الله قلب الحجاج فلما دخل عليه الحسن قام الحجاج فاستقبله عند الباب ، وقبله على رأسه وأخذ من الطيب فطيب لحية الحسن وقال : هجوناك يا أبا سعيد أعذرنا ولا نعود إلى ذلك ، فلما خرج قال الوزراء باندهاش وتعجب : أين وعودك وأيمانك ؟ قال : والله ما دخل علي أحد أرهب على نفسى منه نعم : "احفظ الله يحفظك" وللحديث بقية فى الأسبوع القادم إن شاء الله .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

(إحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ) 2

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه نحمده سبحانه وتعالى ونشكره.....ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسوله القائل : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ، وبعد فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟) قلت : بلى يَارَسُولَ الله فقال : (إِحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ إِحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّبِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّبِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) .

عباد الله : تحدثنا فى لقاء سابق عن حفظ الله لعبده فى مصالح دنياه من سياق قوله صلى الله عليه وسلم : (إحفظ الله يحفظك) وسقنا أمثلة من الذين حافظوا على حدود الله وحقوقه فحفظهم الله من كل مكروه وأذى حتى من الحيوانات المؤذية بفطرتها كما كان من أمر سعيد بن جبير وهو من كبار التابعين كما روته كتب السيرة عندما أرسل الحجاج فى طلبه فلما أمسك به فرسانه مروا على راهب كان مواليا للحجاج فقال الراهب يا معشر الفرسان إصعدوا به فإن اللبوة والأسد يأويان حول الدير ففعلوا فقال سعيد : إن معي ربي يصرفهما عني ويجعلهما لي حرسًا يحرساني ، فقالوا له استهزاء : هل أنت من الأنبياء قال : ما أنا من الأنبياء ولكنى عبد من عبيد الله مذنب ثم أدخلوه...فإذا باللبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت ثم ربضت قريبا منه ، وأقبل الأسد فصنع ماصنعت اللبوة فلما رأى الراهب ذلك نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن نبيه ؟ فلما فسرها له أسلم الراهب...كان دعاء سعيد بن جبيرعلى الحجاج قبل مقتله : اللهم لا تسلطه على قتل أحد من بعدي وقد مات الحجاج دون أن يقتل أحدا من بعد سعيد بن جبير ، وبعد مقتل سعيد بن جبير اغتم الحجاج غما كثيرا وكان يقول : ما لي ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي ، ويقال إنه رؤي الحجاج في النوم بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتيل قتلة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة ، وليس هذا وفقط فمن حفظ حدود الله وحقوقه جعل الحيوانات والوحوش تأتمر بأوامره فهذا عقبة بن نافع لما أراد إنشاء مدينة القَيْرَوَان وهي مدينة تونسية تبعد حوالي 160 كيلومتر عن تونس العاصمة فمنها انطلقت حملات الفتح الإسلامي نحو الجزائر والمغرب وإسبانيا وأفريقيا بالإضافة إلى أن بها مقابر لعدد من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانت في غابة كثيفة الأشجار يكثر فيها السباع والحيات والعقارب والهوام فشكى إليه رجاله وجود هذه الوحوش المفترسة فقام عقبة يخاطب السباع والحيات قائلاً : أيتها الحيات والسباع : إنّا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إرحلوا عنّا فإنا نازلون...ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه ثم نادى عقبة في الناس : "كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا" فخرجت السباع من الأحراش تحمل أشبالها والحيّات تحمل أولادها في مشهد لا يرى مثله في التاريخ ، فما الذى فعله هذا الرجل حتى يتكلم مع الحيوانات والهوام التي لا تعقل ولا تفهم فيطيعونه ويسمعون أوامره ؟ إنه الإيمان ، فالكون كله وما فيه مسخر لخدمة المؤمن الذى يحفظ حدود الله وحقوقه ، نعم لقد صدق ربنا فقال : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) وكما قيل : وإذا العناية لاحظتك عيونُها * نم فالمخاوف كلّهنَّ أمانُ نعم وإذا العناية لاحظتك عيونُها لاتخف من شيء مع الأخذ بالأسباب كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر من مكة إلى المدينة ، فمع أنه يعلم بأن الله معه إلا أنه خرج سراً وخرج ليلاً ، واختبأ في غار ثور وعيَّن شخصا يتقصى له الأخبار ، وشخصا يمحو له الآثار ، وشخصا يأتيه بالزاد والماء ، وجعل سيدنا علي ينام في فراشه ويسجى ببردته مع أن من أصحابه من هاجر جهرا كعمر...والسؤال : أيكون عمرأشجع من النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر جهرا ؟ فأجاب العلماء : إن سيدنا عمر حينما هاجر جهراً كان يمثّل نفسه فهذا موقف شخصي منه ، فسيدنا عمر ليس مشرعاً أي لا تُتَّخذ سيرته شرعاً من بعده ، فلو أن النبي صلى الله عليه وسلم هاجر كما هاجر عمر لظنت أمته من بعده أن هذا هو الواجب فألقت بأنفسها في التهلكة إقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك تشريعا لأمته فى أخذ الحذر فى الأمور ، ولأن هذه الحياة الدنيا بُنيت على أسباب ومسبِّبات فعلى كل إنسان أن يتأدب مع الله عز وجل ، فإذا أراد رزقا أو أمنا من ربه عليه أن يأخذ بالأسباب...فالأخذ بأسباب الرزق لا يتنافى مع كون الرزق مقدراً من الله...فهذه مريم بنت عمران عليهما السلام قد أمرها الله تعالى بمباشرة أسباب الرزق فقال تعالى :

(وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا)

ولقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى كل خير فقال : (إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِداخلة إِزَارِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدَهُ) ففى هذا الحديث إعجاز علمي حديث فقد اكتشف العلماء وجود حشرة صغيرة لا ترى بالعين لم تؤثر فيها المبيدات تتكاثر على العرق...تقتل فى حال نفضها من على الفراش ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن ينام وضع يده تحت خده الأيمن ويقول : (اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك) ولقد أثبت العلماء أن هناك نشاطاً يحدث بين الكف الأيمن والجانب الأيمن من الدماغ عندما يتم الالتقاء بينهما فيؤدي الى إحداث سلسلة من الذبذبات يتم من خلالها تفريغ الدماغ من الشحنات الزائدة والضارة مما يؤدي إلى الإسترخاء المناسب لنوم مثالي وكان صلى الله عليه وسلم يقول : (فَإِذَا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ بِاسْمِكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبِى وَبِكَ أَرْفَعُهُ فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ) أما النوع الثاني من الحفظ فهو حفظ الله لعبده فى دينه وإيمانه من الشبهات المضلة فعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه أن النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له : (قُل : اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلامِ قائِمًا ، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ قاعِدًا ، وَاحْفَظْنِي بِالإِسْلامِ رَاقِدًا ، وَلا تُطِعْ فِيَّ عَدُوًّا ولا حَاسِدًا) وعن رجل قال أرسلني ابن عمر في حاجة فقال تعال أودعك كما ودعني رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أرسلني في حاجة له فقال لي : (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) فالله عزوجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود الله ويحول بينه وبين مايفسد دينه بأنواع من الحفظ قد لا يشعرالعبد بها قال تعالى : (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) ويقول ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى : (...وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) قال : يحول بين المؤمن وبين المعصية التى تجره إلى النار ، ثم يقول صلى الله عليه وسلم : (إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) فإلَى كُلِّ مَنْ ضاقتْ عليه الأرضُ بما رَحُبتْ وضاقتْ عليه نفسُه وظنَّ ألا ملجأ من اللهِ إلا إليه ، إلَى كُلِّ عبدٍ استعصى مرضُهُ ودامَ وجعُهُ ، وكثُرَ أنينُهُ ، إلَى كُلِّ عبدٍ توجَه إلى الأموات بالإستغاثة والاستعانة والسؤال فأشركَ مع الله غيره...لاتسألن وليا ولارسولا...لاتسأل أحدا غير الله فهوسميع قريب مجيب للدعوات...نعم إذا سألت فاسأل الله ما دمت حافظا لأوامرالله منتهيا بنواهيه فوالله لن يخذلك أبدا...وقد وعد بذلك فقال : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) كان عطاء الحسن بن علي من معاوية رضي الله عنهما كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصلت له ضائقة شديدة قال : فدعوت بدواة لأكتب إلي معاوية لأ ذكره بنفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : كيف أنت يا حسن ؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني فقال : أدعوت بداوة لتكتب إلي مخلوق مثلك تذكره ؟ فقلت : نعم يا رسول الله فكيف أصنع ؟ فقال : (قل : اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنه علمي ، ولم تنته إليه رغبتي ، ولم تبلغه مسألتي ، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين) قال : فوالله ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إلي معاوية بضعف ما كان يصل إلي...فقلت الحمد لله الذي لاينسى من ذكره ولايخيب رجاء من دعاه...ثم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا حسن كيف أنت ؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي...فقال : يابني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق ورحم الله من قال :

لا تسألن بنيّ آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لا تغلق & الله يغضب إن تركت سؤاله * وبني آدم حين يُسأل يغضب

قل للطبيب تخطَّفته يد الردى * يا شافي الأمراض من أرداكا & قل للمريض نجا وعوفي بعدما * عجزتْ فنونُ الطب من عافاكا ؟

قل للصحيح يموت لا من علة * مَن بالمنايا يا صحيح دهاكا & قل للجنين يعيش معزولاً بلا * راع...ومرعى ما الذي يرعاكا ؟

وإذا ترى الثعبان ينفث سمَّه * فاسأله من ذا بالسموم حشاكا ؟ & واسأله كيف تعيش يا ثعبانُ أو * تحيا وهذا السمُّ يملأ فاكا ؟

واسأل بطونَ النحل كيف تقاطرتْ * شهداً وقل للشهد من حلاكا & بل سائل اللبنَ المصفى كان بين * دم وفرث من الذي صفاكا

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من السؤال ومن الدعاء ومن الإستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وكان يقول : (من قال أستغفرُ اللَّهَ العظيم الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيُّومَ وأتُوبُ إليه غُفِرَ له وإن كان قد فرَّ من الزَّحفِ) والفرار من الزحف من كبائر الذنوب قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) وعن قوله صلى الله عليه وسلم : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة) فهذا موضوع الأسبوع القادم إن شاء الله...وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين)

(التعرف إلى الله في الرخاء) 3

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه نحمده سبحانه وتعالى ونشكره.....ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسوله القائل : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا ...وبعد

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟) قلت : بلى يَارَسُولَ الله قال : (تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ماأصابك لم يكن ليخطئك ، ومأأخطأك لم يكن ليصيبك ، واعلم بَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِيُسْرًا)

عباد الله : فمن علامات كمال اليقين في قلب المؤمن أن يلجأ إلى الله تعالى في جميع أحواله ، فى رخائه وشدَّته فى صحته وسقمه ، فى غناه وفقره ، وأن لا يقتصر ذلك على حال الشدة فقط ، لأن لجوء العبد لربه فى وقت الشدة فقط سبب من أسباب عدم استجابة الدعاء ، ولقد ذمَّ الله في كتابه الذين يلجأون إليه في حال شدَّتهم فقط...

أمَّا في حال رخائهم فإنَّهم يُعرضون عنه وينسون ما كانوا فيه يقول الله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ويقول تعالى : (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) فالدعاء لايستجاب فى وقت الشدة إلا إذا كان لصاحبه رصيد من العمل الصالح فى وقت الرخاء تماما كالتوبة لاتقبل فى وقت الشدة لقوله تعالى : (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا...) فيجب على كل إنسان أن يتزود بالصالحات وألايكون فى غفلة عن هذا المصيرولذلك قيل :

تزود من التقوى فانك لا تدري * اذا جن ليل هل تعيشُ الى الفجر& فكم من صحيح مات من غيرعلة وكم من سقيم عاش حينا من الدهر & وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري & وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر فإلى متى هذا التقصير في عمل الصالحات وقد اشتعل الرأس شيبا ؟ وقد قيل : وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيط فِي زَمَنِ الصِّبَا * فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ للرَّأسِ شَاعِلُ & تَرَحَّلْ مِنَ الدنْيَا بزَادٍ مِن التُّقَى * فَعُمْرُكَ أَيَامٌ تُعَدُّ قلائِلُ نعم علينا التقرب إلى الله فى وقت الرخاء بنعمه علينا فقال صلى الله عليه وسلم قال : (مَن سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فلْيُكثِر الدعاءَ في الرخاء) وهذا التعرُّفُ هو المشار إليه في الحديث القدسي : (...ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه...) إلى أن قال : (ولئن سألني لأعطينَّه ولئن استعاذني لأعيذنَّه) فهذا نبي الله يونس عليه السلام قد أرسله الله إلى قومه فلم يستأذن في الخروج ، خرج عليه السلام مغاضباً بدون إذن من ربه فلما ركب في السفينة تموجت به واشتدت بهم العاصفة...فقال صاحب السفينة : معنا عاص فلنقترع...فاستهموا فوقعت القرعة عليه ، فاستهموا ثانية فوقعت عليه ، وفي الثالثة وقعت عليه ، فألقى بنفسه فى البحر فابتلعه الحوت فأصبح في ظلمات ثلاث : ظلمة الليل ، وظلمة اليم ، وظلمة الحوت...فلما أصبح في بطن الحوت انقطعت صلته بالمخلوقين جميعاً...لا ولد ولا زوجة ولا أهل ولا قوم ، وهنا أدرك خطأه فنادى ربه وهو في الظلمات : (لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) وانطلقت لا إله إلا الله إلى رب لا إله إلا الله...فسمعته الملائكة فبكوا وقالوا ياربنا هذا صوت معروف من عبد معروف ، نعم عرف صوته في الملأ ، فبعض الناس يعرف صوته بالتسبيح وبعضهم يعرف صوته بالفجور والغناء نسأل الله العافية...فنادى رب لاإله إلا الله على الحوت أن أخرج عبدي فطرحه الحوت من جوفه كما قال تعالى : (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) أتدرون لماذا أنقذه الله ؟ لأنه كان فى حال رخائه وقبل أن يبتلعه الحوت يذكر الله ويسبحه لذلك يقول ربنا : (فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

وفى المقابل : لقد كان فرعونَ طاغياً ناسياً لذكر الله فلمَّا أدركه الغرقُ قال كما ذكرربنا فى كتابه : (...حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَإِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فكان جواب الله عليه (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) ثم جعله الله عبرة لكل متكبر جبار ولكل من أتى بعده إلى يوم الدين فقال : (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) وماحديث الثلاثة الذين دخلوا الغارَ وانطبقت عليهم الصخرةُ عنا ببعيد كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله يقول صلى الله عليه وسلم : (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فسأل أحدهم ربه ببره لوالديه...فانفرجت الصخرة قليلا ولكنهم لايستطيعون الخروج ، وسأل الثانى ربه بالعفة عن الوقوع فى الزنا فانفرجت الصخرة قليلا ولكنهم لايستطيعون الخروج ، وسأل الثالث ربه بحفظه للحقوق ولو امتد بها الزمن فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون) .

وإن من أعظم الشدائد والكرب ما يمرعلى الإنسان وقت وفاته ، فمن تعرف على الله في الدنيا ولزم طاعته وابتعد عن معصيته نزلت عليه عند موته ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس كما ذكر ربنا فقال : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ...) .

وكذلك إذا وضع في قبره ثبتَّه الله عند السؤال كما قال تعالى : (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) ويأتيه رجل حسن الهيئة فيقول : أنا عملك الصالح ، ثم يفتح له باب إلى الجنة يأتيه من طيبها وريحها ، ويفرش قبره من الجنة ، ويُفسح له مد بصره ، ويؤمنه الله عندما يُحشر الناس حفاةً عراةً غُرلاً غير مختونين يموج بعضهم في بعض وقد أدنيت الشمس منهم ، بينما هو في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله .

ومن تعرف على الله في الدنيا ولزم طاعته شرب من الكوثر وهو حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآخرة شرب شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ، ثبَّت الله قدميه على الصراط وهو جسر مضروب على متن جهنم وقد قيل فى وصفه : أنه أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف كما قال تعالى :

(وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا)

وإليكم هذه القصة الواقعية التي قالها بعض أهل الشيشان : جاء الروس وكنا في بيت فحاصرونا ، فهرب مَن هرب وبقيت أنا وليس لدي مهرب ، فذهبت إلى حفرة بجانب البيت يُلقى فيها محصول البطاطس ، فألقيت نفسي فيها وأنا متوكل على الله أعرف أن الله لن يتخلى عني في وقت الشدة ، ثم اقتحموا البيت وابتدءوا التفتيش وعلا صياحهم وما تركوا نقطة من البيت إلا وفتشوها ، وما بقي إلا الحفرة التي أنا فيها ، واقتربوا من مكاني وأنا ما عندي سلاح أقاتل به ولا أستطيع أن أهرب... ما عندي إلا التوكل على الله ، وتذكرت موقفا من السيرة النبوية وآية من القرآن الكريم فجعلت أقرأها ، فسمعت القائد يقول للجندي : إذهب وفتش تلك الحفرة التى أنا فيها فوصل إليها وأنا مثل الفأر بالمصيدة ونظر إليّ وذهب...وقال للقائد : لا يوجد أحد في الحفرة...لقد تعجبت...نعم تعجبت ماذا يحدث ؟ عيني في عينه ، فقيل له : وما كنت تقرأ ؟ قال : تذكرت قول الله تعالى في سورة يس : (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ) ثم قال : لقد أنقذني الله منهم بفضل هذه الآية وبفضل توكلي عليه...هذا رجل في زماننا هذا...ليس بتابعي ولا صحابي وإنما رجل عرف الله في الرخاء فلم يتخل الله عنه في وقت الشدة ، نعم تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك فى الشدة وتذكر دائما هذه الآيات من كتاب الله : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فاتقوا الله عباد الله فلا تظالموا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، وكونوا عبادا لله إخوانا ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

(الإيمان بالقضاء والقدر) 4

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه...نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسوله القائل : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا...

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟) قلت : بلى يارسول الله فقال : (إِحْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، إِحْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّبِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) .

نعم معشر المسلمين كما قال صلى الله عليه وسلم : (وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) أي أن ما يصيب الإنسان في دنياه من ضر أو نفع مكتوب عليه ولاراد له إلا بأفعال إذا قام بها الإنسان رفعها الله عنه سنذكرها بعد قليل إن شاء الله ، وقد دل القرآن الكريم على أن أعمال العباد مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الله الكائنات في قوله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَتَفْرَحُوا بِمَآاتَاكُمْ وَاللهُ لاَيُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) فالله كتب على عبده بناء على علمه ، والعلم بالشيء ليس له تأثير فى فعله فلو علمت بأن محل فلان سيسرق هل علمى بذلك هو الذى دفع إلى سرقته ؟ لا...فالله كتب على عبده بناء على علمه قال تعالى : (أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) ونذكر مثالا لتقريب الفهم : لو أن أستاذا أحسن مراقبة طلابه ووقف على مستواهم العلمي ثم أمسك ورقة فكتب فيها من سينجح ومن سيرسب ووضع الورقة فى جيبه وجاءت نتيجة الإمتحان بناء على ماكتب الأستاذ ، فهل يُقبل من الطالب حين يقول لقد رسبت لأن الأستاذ كتب بأنى سأرسب ؟ لايُقبل لماذا ؟ لأن الأستاذ لم يمنعه من المذاكرة ولم يمسك يده عن الكتابة فقد أجاب بإرادته ، فكذلك ولله المثل الأعلى فقد علم الله بحال عباده فكتب أي أثبت ما علمه عن عبده بناء على علمه عن عبده ، فعلم الله السابق لم يجبرنا على سلوك بعينه لأن الله لو أجبرنا على هذا ما كان هناك حاجة إلى السؤال وإلى الحساب يوم القيامة ، فما أثبته الله عليك لاتعلمه أنت وعليك أن تجتهد فى عمل الصالحات فعمل الصالحات أسباب لدفع القدر ، فالقدر أنواع : فيوجد تقدير عمرى : وهو تقدير لكل ما يجرى على العبد فى حياته من وقت ولادته إلى نهاية أجله فبعد اكتمال خلقه فى رحم أمه يرسل إليه ملك كما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم : (ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ) ويوجد تقدير سنوى : وذلك فى ليلة القدر من كل سنة ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فكل أمور السنة تقدر تقديراً آخر فى ليلة القدر فيكتب الله ما يشاء فى ليلة القدر من يحج ومن يموت...ويوجد تقدير يومي : قال تعالى : (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) فإذا كان الله قد قدر عليك أشياء فأنت لاتعرف ومع ذلك فقد جعل لك اختيارا فى تغيير هذا القدر وذلك بالأعمال الصالحة إذا أردت حتى لايتساوى الذى يعمل مع الذى لايعمل... من هذه الأشياء الصدقات والدعاء فعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ) ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا يرد القدر إلا الدعاء) فالله يأمرنا بالدعاء ويحذرنا من تركه فيقول : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) فلماذا لم يقل : يستكبرون عن دُعائي مع أن سياق الكلام يقتضيه حتى نعلم بأن الدعاء مخ العبادة ، فالله يعطيك من فضله لينظر كيف تعمل كما قال موسى عليه السلام لقومه : (...قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) .

فإذا غيرت نيتك مع الله غير الله معك كما قال تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فلله قوانين فى الأرض يجريها على العباد فإذا أحسنت إلى خلقه أحسن الله إليك كما قال تعالى : (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ؟) فَخَيْرُ الناس أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ كما جاء فى الحديث ، وإذا بخلت بالمال وشحت نفسك به أمسكه الله عنك كما قال صلى الله عليه وسلم : (وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بالذنب يصيبه) فإن قيل كيف ذلك ونحن نَرَى الْكُفَّارَ وَالْفُسَّاقَ أَكْثَرَ مَالاً وَصِحَّةً مِنَ أهل الإيمان نقول : إن الْحَدِيثَ مَخْصُوصٌ بِالْمُسْلِمِ يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَرْفَعَ دَرَجَتَهُ فِي الآخِرَةِ فَيُعَذِّبُهُ فِي الدُّنْيَا وذلك بحرمانه منه كما قال تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) فعطاء الله للمؤمن أو حرمانه منه خير له ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم : (عَجَبًا لأمر المؤمن إِنَّ أَمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمن ، إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ فشَكَرَ كان خَيرًا لهُ ، وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ فصَبرَ كان خَيرًا لهُ) فكل قدر فيه خير وإن كان ظاهره الشر...ولعلكم قرأتم أوسمعتم هذه القصة : كان لأحد الملوك وزير حكيم وكان الملك يقربه منه ويصطحبه معه في كل مكان وكان كلما أصاب الملك ما يكدره قال له الوزير "لعله خيرً" فيهدأ الملك ، وفي إحدى المرات قطع إصبع الملك فقال الوزير "لعله خيراً" فغضب الملك منه وقال ما الخير في ذلك وأمر بحبس الوزير فقال الوزير "لعله خيرً" ومكث الوزير في السجن ، وفي يوم خرج الملك للصيد وابتعد عن الحراس ليتعقب فريسته... فمرعلى قوم يعبدون صنما فقبضوا عليه ليقدموه قرباناً للصنم ولكنهم تركوه بعد أن اكتشفوا أن قربانهم إصبعه مقطوعة...فانطلق الملك فرحاً بعد أن أنقذه الله من الذبح ، وأول ما أمر به فور وصوله القصر أن أمر الحراس بخروج وزيره من السجن فلما خرج اعتذر له الملك عما صنعه معه ، وقال له إنه أدرك الآن الخير في قطع إصبعه ولكنه سأله عندما أمرت بسجنك قلت "لعله خير" فما الخير في ذلك ؟ أجابه الوزير بقوله : لو لم أكن فى السجن لصحبتك فى الصيد وكنت سأقدم قربانا بدلا منك فسر الملك منه وأعاد قربه به مرة أخرى .

فالحياة فرصة لمن أراد تغيير قدره الذى قدره الله عليه قال تعالى : (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) وقال ابن عباس : إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة يثبت فيه ما يشاء ويمحو منه ما يشاء ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت ويبكي ويقول : اللهم إن كنت كتبتني من أهل السعادة فأثبتني فيها ، وإن كنت كتبتني من أهل الشقاوة فامحني وأثبتني في أهل السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، وقيل لابن عباس كيف يزاد في العمر والأجل ؟ فقال...قال الله عز وجل : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ) فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته والأجل الثاني : من حين وفاته إلى يوم القيامة وهو المسمى بالبرزخ قال تعالى : (وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) فإذا اتقى العبد ربه وكثر خيره زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ، وإذا عصى العبد ربه وكثر شره نقصه الله من أجل عمره في الدنيا فيزيده في أجل البرزخ ، ولقد مَرَّتْ جَنَازَةٍ عَلَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) قالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ ؟ قالَ : (الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) .

فالأعمال الصالحة تزيد فى العمر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) ويقول صلى الله عليه وسلم : (خير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وشر الناس من طال عمره وساء عمله) وقالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه و سلم : (مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلاَّ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ) وعن أنس قال : قالت أمى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خادمك أنس ألا تدعو له ؟ فقال : (اللهم أكثر ماله وولده ، وأطل حياته ، واغفر له) وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) هو كناية عن الفراغ من كتابة أعمال العباد قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة فقد روى مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله كتب مقاديرالخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة) فقال رجل يارسول الله : (فيم العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما نستقبل ؟) قال : (فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير) قال : ففيم العمل ؟ قال : (إعملوا فكل ميسر لما خلق له) وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)